عدد المبشرين حقق قفزة هائلة خلال فترة التسعينات، فقد كانوا مئات معدودة في بداية العقد، وأصبح عددهم ثلاثة آلاف الآن، أغلبهم تم يفادهم من خلال ما سمي بمؤتمر المعمدان الجنوبي، بينما ذهب الآخرون عبر شبكة تضم مجموعات من الكنائس، يطلق على بعضها اسم كوسيتار» والبعض الآخر يحمل اسم «وزارات العالم العربي»، وهؤلاء المبشرون يعملون في قرى نائية في افغانستان وباكستان، وجمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقا، مثل كازاخستان واوزبكستان، ضافة الى بعض النقاط الساخنة في الشرق الأوسط، كالعراق وسورية واليمن ودول افريقية الصومال والجزائر.

«نحن نعتبر الاسلام هو الجبهة الأخيرة». هكذا ال ديفيد كاشين، استاذ الدراسات الثقافية لمتداخلة في جامعة كولومبيا الدولية، الذي كان يرتدي ملابس اسلامية، ويتواصل مع الذين عتنقوا المسيحية في مقاهي كالياكوار في نغلاديش، ويرى كاشين مع باقي زملائه ان العالم لاسلامي يجب اختراقه قبل عودة المسيح، وفي هذا لصدد يقول: ان التاريخ آت الى نهاية، واذا كنت ؤمن بأن المسيح سوف يعود، فينبغي ان تتساءل: اذا أجل عودته طيلة ألفي سنة؟ والرد على السؤال و انه لم يأت لأننا لم ننجز المهمة الموكلة الينا، هي أن نكسب معتنقين من كل المجموعات الاثنية ي العالم.

طالبان جلبوا لهم الشهرة

ضاف كاتب التقرير ان حركة «صيد الارواح» في لاقطار الاسلامية من خلال المبشرين الذين تخفون في زي موظف الاغاثة أو مدرسين أو صحاب الاعمال، واجهت العديد من المشكلات خارج عالم الانجيليين. وقال ان المنصرين انفسهم عترفون بأن عملهم يشكل خطرا على حياة الذين ستجيبون لهم ويعتنقون المسيحية، كما ان هناك اقدين يقولون ان العمل التبشيري يتسبب في عطيل توصيل المعونات الاغاثية، ويؤجج مشاعر كراهية تجاه الغربيين، غير ان العاملين في قلب ركة التنصير ومنهم تلاميذ ريك لوف لهم رأي خر، فهم يقولون ببساطة إن أي ضرر بسبب عملهم لا يقارن بالهدف الذي يسعون اليه، المتمثل في قويض الاسلام.

اعتقد انه دين مزيف. واتمنى ان اراه وقد ختفى من على وجه البسيطة، هكذا قالت كيم مك يو، وهي طالبة في السادسة والثلاثين من عمرها، عمل على تنصير اللاجئين الايرانيين في تركيا، وقد ايدها في ذلك زوجها الذي يرافقها في مهمتها.ثم اضاف: ان هؤلاء اذا لم تتح لهم فرصة لكي يعيشوا تجربة المسيح، فسوف يذهبون لى الجحيم!

من المعلومات اللافتة للنظر التي أوردها تقرير ان معظم الاميركيين بدأوا بالتعرف على عمليات التنصير الانجيلية في العالم الاسلامي حينما القت حكومة طالبان القبض على سيدتين انتا تقومان بعملية التنصير في افغانستان «هما انيا كدي وهيثر ميرسر». واثناء اعتقالهما الذي ستمر ثلاثة اشهر تحولت قصتهما الى عناوين رئيسية في الصحف الاميركية. وقد اقتحمت طائرات الهليكوبتر الاميركية مقر احتجازهما وانقذتهما من سجن «خارز» في بلدة غزني الافغانية، وآنذاك قال الرئيس بوش انهما ذهبتا الى هناك لمساعدة أفقر الفقراء، ولم يكن ذلك دقيقا، لأن دورهما كان أبعد من كونه مجرد عمل اغاثي، ذلك انهما حينما عادتا الى وطنهما اعترفتا بمخالفة القانون الافغاني، بعرضهما فيلما عن المسيح، وتوزيعهما لكتب تضمنت قصصا مسيحية لتنصير اسرة مسلمة! .. وفي الوقت نفسه فإن مبشرا آخر من نفس المنظمة هو جون ويفر، رفض مغادرة افغانستان، رغم التوتر الذي نشأ بين كابل وواشنطن، الأمر الذي جعله يستحوذ على اهتمام اعلامي واسع النطاق في الولايات المتحدة وكان ويفر أحد الدارسين في جامعة كولومبيا الدولية، التي لا تنفرد بتدريس برامج تنصير المسلمين، وانما في الولايات المتحدة ثلاث مدارس أخرى تقوم بتدريس برامج مماثلة للتنصير، وتمنح خريجيها شهادات تمكنهم من الانخراط في هذه المهمة.

يزحفون على العالم بيولوجيا

المشرفون على مدارس التنصير يعتبرون الاسلام دينا منافسا، وفي موقع جامعة كولومبيا على الانترنت كتب أحد اساتذة مركز التنصير، واسمه وارن لارسون، يقول ان الزعماء المسلمين يقولون ان الاسلام يعني السلام، ولكن تلك مقولة تهدف الى تضليل العامة، وتخفي هدف المسلمين في نشر دينهم بالغرب، لكي يتحولوا الى قوة دولية مسيطرة. ثم اضاف قائلا: الاسلام يزحف على العالم بيولوجيا، انهم ينجبون اطفالا أكثر واسرع منا!

لاجل ذلك، وتحسبا لاحتمالات المستقبل، فإن المنصرين يكثفون جهودهم في كل مكان يستطيعون الوصول اليه بالعالم الاسلامي، ولكن عملهم لا يخلو من اخطاء، فهذا روبرت تلفرسون، الذي يعمل مديرا لمنظمة «كير» للاغاثة، حينما خدم مع قوات «المارينز» الاميركية بالصومال، في بداية التسعينات، كانت هناك 200 منظمة تعمل من أجل السيطرة على المجاعة التي هدت البلد المنغمس في الحرب، غير ان المبشرين تسببوا في تدهور الموقف، وذلك حين ظهروا في مراكز توزيع الطعام، وتصرفوا على نحو اقنع الناس بأن عملية الاغاثة من خلال الطعام مرتبطة بالتنصير. أدى ذلك الى كارثة، فقد تزاحم الصوماليون لسرقة الطعام، ثم اشعلوا النيران في الحافلات، وفي باكستان فتح مسلمون النار على كنيسة انشأها المنصرون في باكستان موقعين 16قتيلا، وهدد ثوار مسلمون في الفلبين باعدام اثنين من أولئك المنصرين.

في فصله يحذر ريك لوف من ارتكاب الاخطاء، ويلح على تنبيه الملتحقين بالدورة التعليمية الى أن الواحد منهم لكي يكسب متنصرين في مجتمع مسلم، ينبغي عليه ان يتبين الاساليب المتبعة في ثقافتهم، ولا مانع في ان يلجأ الى ممارسات شائعة في ديانتهم، وهو نهج يعرف باسم «السياقية» وخلاصتها ان يضع المنصر نفسه في سياق المجتمع الذي يخاطبه، فلا يلجأ الى الاساليب الكلاسيكية المعروفة في الممارسات المسيحية الاميركية، التي تعتمد على الاغاني بالدرجة الاولى، وانما يجب عليهم ان «يتحولوا الى مسلمين في مظهرهم، حتى يصلوا الى مفاتيح قلوب المسلمين». فقد يظهرون باسماء مسلمة، يطلقون لحاهم ويرتدون الجلابيب والنساء منهم يرتدين الحجاب والملابس الشائعة في أوساط المسلمين، وليس هناك ما يمنع من أن يؤدي المنصرون الصلوات معهم أو ان يصوموا خلال شهر رمضان، وما أسهل ان يشاركوهم الاحتفال بعيدي الأضحى والفطر.

مهمة الإغاثة أصبحت أصعب

هذا الاندماج في مجتمع المسلمين يؤيده البعض، ويتعامل معه الآخرون بحذر. في الأردن يطلق المبشرون على أنفسهم «مسلمو المسيح»، ويشيرون الى الرب بكلمة «الله». وفي النشرة الفصلية للانجيليين ان هناك مجموعات تطلق على نفسها «مسيح . ين» وقد قدموا انفسهم على انهم احدى الطرق الصوفية، وذهبت النشرة الى أن المنصرين يحثون الطلبة الفلسطينيين على أن يتبنوا المعتقدات المسيحية، وان يقولوا للجميع انهم مسلمون.

تقول دونا دير مديرة الاستجابة للطوارئ الدولية في منظمة «خدمة كنيسة العالم» ان المبشر حين يتنكر في ثوب عامل الاغاثة، فإنه يجعل مهمة المشتغلين في المجال ذاته صعبة للغاية اذا ما اكتشف امره، لأنهم جميعا سوف يصنفون مثله، وتقول انه في احد بلدان جنوب آسيا انتشرت الامراض، ولكن كان من الصعب عليهم اقناع الحكومة بالسماح لهم بالدخول الى المنطقة الموبوءة، وكان السبب في رفضها التصريح لهم بالعمل ان شخصا حاول في السابق اقامة كنيسة في تلك المنطقة.

اضافت دير ان هناك نماذج أخرى للعمل التبشيري الذي يتبعه مسيحيون آخرون، يهدف الى تقديم الخدمة لمن يحتاجها، من دون محاولة تجنيدهم، حيث يكفي كسب مودتهم وتعاطفهم. فخدمات الانقاذ الكاثوليكية تقدم بطانيات واطعمة الى افغانستان، وتبني شبكات لمياه الشرب في المغرب، وتطور المشاريع الانمائية الصغيرة للنساء المصريات، كل ذلك من دون أي جهد لتنصير اولئك الناس، بل ان كن هاكت رئيسة المنظمة تذهب الى أبعد، وتقول إننا لا نطلب من موظفينا ان يتنصروا، فإذا كان الواحد منهم مسلما ملتزما، فاننا لا نطلب منه ان يغير من طبيعته.

في آخر محاضرة قدمها لوف لتلاميذه، تحدث عن موضوع مقلق يتعلق بمصير الذين يتنصرون اذا ما تكلل عملهم بالنجاح، وقال انه في حالة اكتشاف أمرهم فعادة ما يطلب منهم مغادرة البلاد، واحيانا يسجن المنصر، لكنه يغادر البلاد في النهاية، ولكن الذي يواجه المشكلة أو المحنة الحقيقية هم اولئك الذين تنصروا، فإنهم يتعرضون هم واطفالهم الى صور عديدة من الأذى والضرر.

طاهر لاني شاب اعتنق المسيحية في احدى جلسات تدريس الانجيل السرية في مدرسة بكشمير، مخصصة لحفظ القرآن، وقد تبرأ منه والده، واضطر لأن يهرب من منطقته بعد أن تلقى تهديدا بالقتل، وخلال الثلاث عشرة سنة الماضية، ظل يعيش منفيا في بيت صغير بحارة صغيرة، ورغم المخاطر التي يتعرض لها، فإنه لم يتوقف عن دعوة المسلمين الى النصرانية.

تقول دراسة نشرها المؤتمر المعمداني الجنوبي ان المنصرين يجب ان يتحلوا بالنضج والثبات الروحاني، واذا ما تعرض المتنصرون لأية مشاكل، فليس من الضروري ان يتدخل المنصر لانقاذهم، ذلك ان الاضطهاد هو أمر عادي مسيحيا وتاريخيا، بحيث لا يمكن تجنبه أو وقفه، فتجنب الاضطهاد يعني في حقيقة الأمر اعاقة توسع مملكة الرب ■